اجتهادات
إظهارُ المخبوء

وراء كل سرديةٍ منهجُ فى التفكير. قد تكون ظاهرةً، أو مخبوءة. وقصد الصديق جمال أبو الحسن أن يكون منهجه المحافظ مخبوءًا فى ثنايا كتابه وفقًا لتعليقه الذى يقولُ فيه: طالعتُ باهتمامٍ اجتهادكم فى 31 أكتوبر، والذى أشرتم خلاله إشارةً أعتزُ بها إلى كتابى الصادر حديثًا (300 ألف عام من الخوف: قصة البشر). والحقيقةُ أنكم أمسكتم بخيطٍ رفيع قصدتُ أن

▪أخفيه بين سطور الكتاب، إذ جاء فى مقالكم أن الكتاب يُعبرُ عن نظرةٍ محافظة للتاريخ البشرى

وهذه الرؤيةُ تسندها فى نظرى حججٌ بسيطة ولكنها مهمةٌ للغاية. فأدمغةُ البشر تعملُ بنفس الطريقة، ومخاوفهم تُحركها ذات الهواجس. كما أنهم عندما يعيشون فى جماعةٍ يتفاعلون بطرقٍ تُدهشنا بتشابهها الشديد. ومن ذلك، أن الصروح العملاقة التى اتخذت الشكل الهرمى ظهرت فى حضاراتٍ لم تتصل ببعضها. والسبب أن هذه الصروح الشاهقة تُعبرُ عن رغبة أصحاب السلطة فى تعزيز سلطانهم عبر الزمن بالبناء كعلامةٍ على القوة والمنعة0 كما أن هذه الصروح ذاتها ربما

▪تُعبرُ عن رؤية المجتمعات القديمة لذاتها فى صورةٍ هرمية تراتبية

ولعلكم لاحظتم أننى اخترتُ الخوف مدخلاً لفهم تاريخنا الطويل، سواء خوفنا من الطبيعة حولنا، أو من بعضنا البعض. وهذا الخوف، الذى ربما يكون أقوى المشاعر البشرية وأشدها أثرًا فى قصتنا، هو ما دفع إلى بزوغ السلطة كظاهرةٍ حتمية

▪مصاحبة للاجتماع البشرى

أما النظرةُ الأخرى، التى ظهرت خافتةً فى الكتاب كما أشرتم، فتذهبُ إلى أننا نقرأُ التاريخ الذى وصلنا مكتوبًا، بينما لا نعرف شيئًا عن مجتمعات عصور ما قبل التدوين. ربما قامت هذه المجتمعاتُ على المساواة (وهناك بالفعل أبحاثٌ علمية معتبرة تُشير إلى هذا). غير أن اندثارها، وطغيان المجتمعات التراتبية يشير بجلاء إلى أن «شيئًا ما» جعل هذه الأخيرة تسودُ وتنجح. وفى أى الأحوال، يظلُ السجالُ بين الفكرين المحافظ والتحررى هو الدافع الأهم للمنعطفات الكبرى فى

▪التاريخ. ولا يسعنى سوى أن أشكركم على تسليط الضوء على جانبٍ من الكتاب أراده الكاتبُ أن يبقى خافتًا

▪وإذ أشكرُ الصديق جمال على تعليقه، أستأذنُ فى أن نبقى معه غدًا